اللقاء الثاني

نسعى فيه إلى تحديد هوية الشخص الذي
يتخذ القرار والطريقة التي يتخذه بها. في
هذا اللقاء نتوصّل إلى إدراك ضرورة تعيين
الأشخاص المكلّفين بتمثيلنا.

- لقد توصلنا إذاً إلى الفصل بين القطاع الخاص والشؤون العامة. ورأينا كيف يتم تسديد نفقات الخدمات العامة. علينا الآن أن نفهم من الذي سيقرر وبأية طريقة. فماذا ترون؟

- **هل هي الحكومة؟**

- نعم، المهم أن نعرف كيف يتم تعيين أعضائها، وكيف يتم ضبط الأمور، هل يحصل ذلك بطريقة ديمقراطية أم لا... هل يذكركم اسم ميلوزيفيك Milosevic بشيء ما؟

- **نعم، إنه حاكم مستبد.**

- هذا يبرهن لنا أنه لا يتم تنظيم الأمور بطريقة واحدة في

كل البلاد: ففي فرنسا مثلاً، تطورت الأحوال على مر السنين، حيث انتقلنا تدريجياً من النظام المتسلّط إلى النظام الديمقراطي. وهي كلمة جوهرية تستحق التوقف عندها. إنها مشتقة عن لفظين من أصل اغريقي: «قراطي» وتعني القيادة، و«ديمو» وتعني الشعب. إنها إذاً النظام الذي يترك أمر تقرير مصيره بين يدي الشعب. لقد توصّل بعضهم إلى تعريف بليغ جداً لهذا التعبير، يمكنكم حفظه: إنه: «حكم الشعب، صادر عن الشعب، ويعمل لما فيه مصلحة الشعب». ولكي نطبّق هذا التعريف على ما هو سائد في فرنسا، ستقولون أن الشعب قد ورث السلطات التي كان الملك يستأثر بها في العهد السابق. لذلك نتكلّم عن «الشعب الحاكم». لم يعد هناك ملك وشعب، بل الشعب هو الملك. يبقى أن نتساءل عن الطريقة التي يمارس من خلالها الشعب سيادته.

ففي عهد الإغريق، لم يكن الأمر بهذا التعقيد. كان الشعب يعيش ضمن الحاضرة، وهي مدن مستقلة، قليلة السكان. فكانت تتم دعوتهم للاجتماع بصورة منتظمة، في الساحة الرئيسية للمدينة لاتخاذ القرارات بشكلٍ جماعي. ونسمي هذا النظام الذي ما يزال قائماً حتى

يومنا هذا في بعض مقاطعات سويسرا، بالديمقراطية المباشرة. ولكن لا يمكن تطبيقه على مستوى بلد. سنبرهن على ذلك ببساطة: كم يبلغ عدد السكان في فرنسا؟

- **ستون مليوناً.**

- هل نستطيع جمع عشرات الملايين من الفرنسيين لمناقشة الأمور واتخاذ القرارات؟

- **كلا.**

- بالتأكيد، فالأمر من الصعوبة بمحل. إذاً ما هو الحل البديل؟

- **التصويت.**

- بالطبع، ولكننا لن نستطيع التصويت حول كل المشاكل التي تصادفنا، سيضيع وقتنا بأكمله. ومن هنا نشأت ضرورة نقل سلطتنا إلى مجموعات قليلة، ألا وهم الوسطاء، نقوم باختيارهم بتروٍ، لأنهم يفكرون بطريقتنا، ويقررون بالنيابة عنا. هؤلاء إذاً هم...

- **ممثلونا!**

- يقوم هؤلاء الممثلون باتخاذ القرارات وتحديد

الاتجاهات، يمارسون ما يسمى بالسلطة التشريعية أو الاستشارية. . . هنا سيحتاج الأمر إلى أناس يطبقون القرارات. فمن هنا ظهرت طبقة الموظفين، الذين هم تحت سيطرة ما يسمى بالسلطة التنفيذية، أي الحكومة. سنفصّل هذا الأمر لاحقاً. حيث أن مشاكلنا لم تنتهِ بعد، ولا نريد أن نثير قلقكم الآن. . . علينا أن ندرك أيضاً أن هناك قرارات من مستويات مختلفة. إذ لا وجود لسلطة فريدة يصدر عنها كل شيء. ففي عهد الثورة الفرنسية، كانت هناك هيئة واحدة لمندوبين يقومون بمعالجة جميع القضايا التي تهم الفرنسيين. ولكن سرعان ما لاحظ أصحاب السلطة أن هناك بعض الأمور التي يمكن معالجتها على مستوى محصور، ومن قبل الأشخاص المعنيين مباشرة. وهكذا بدأت تظهر المجالس القروية، ثم المحلية، وأخيراً الإقليمية. فكل فرنسي مدعوٌ اليوم إلى التصويت لدى كلٍ من هذه الهيئات. سيكون لديه ممثلون في كل واحدة منها. حتى لو كانت إحدى هذه الهيئات تتمتّع بسلطة أعلى من غيرها على مستوى الترتيب الإداري، حيث يعود إليها أمر التنظيم، تبقى معالجة المواضيع العامة من اختصاص إحدى هذه الهيئات الأربع التي ذكرنا آنفاً حسب طبيعة المشكلة.

بالفعل هناك مشاكل على مستوى الوطن، تخص جميع السكان، في حين أن هناك مشاكل لا تخص إلاّ سكان مدينة ما، أو مقاطعة ما، أو منطقة ما.

من منكم قادر على أن يعطيني مثلاً لمشكلة وطنية؟

- **البطالة.**

- مثال جيد. ولكن بالمقابل، ألا يوجد لديكم أنتم سكان بلدة برونوي Brunoy مشاكل يستطيع سكان القرية حلها بمفردهم، ودون الاستعانة بأشخاص مثلي من بلدة إيبينال Epinal؟ ويمكن عكس الأمر: ألا يوجد لدينا نحن سكان بلدة إيبينال Epinal بعض المشاكل التي نستطيع حلها بمعزل عن سكان بلدتكم؟

- **الاتجاه الإجباري لطريق المدرسة.**

- مثال ممتاز! إنه يخص سكان بلدة برونوي Brunoy وحدهم. إذاً سيكون لدينا ممثلون عديدون تبعاً لأهمية المشاكل. وفي هذه الحال، من الذي سيتخذ القرارات بشأن المشاكل التي تنشأ في بلدة برونوي Brunoy؟

- **إنه عمدة البلد.**

- نعم، وإذا حاولنا أن نكون أكثر دقة، فالمجلس القروي

هو بمثابة مجلس النواب بالنسبة لبلدة برونوي Brunoy ومن الذي سينتخب العمدة وأعوانه من بين الصفوف؟ فالعمدة ومستشاروه هم السلطة التنفيذية للبلدة. بينما يمثل المجلس القروي العضو...

- ... **الاستشاري**

- ما هو الاسم الذي سيُطلق على الانتخابات التي يتم من خلالها تعيين ممثلين لكل من بلدة برونوي Brunoy وإيبينال Epinal؟

- **إنها الإنتخابات البلدية.**

- بالضبط. عندما تبلغون سن الثامنة عشر، ستمتلكون بطاقة انتخابية يحق لكم استخدامها. وسيُطلب إليكم المشاركة في انتخابات البلدية في قريتكم كل ستة أعوام، من أجل اختيار أعضاء المجلس القروي. تلك هي الديمقراطية. بل هي الديمقراطية الحقيقية. حيث أن العمدة ومساعديه وأعضاء المجلس القروي، بالرغم من السلطات الهامة التي أوكلت إليهم، لن يتمكنوا من التصرّف عشوائياً. سيعرّضون أنفسهم لمواقف معارَضة، وخاصة من قبل الرأي العام. يجب ألا ننسى أنه يحق للناخبين إقالة العمدة وأعضاء المجلس القروي في

الانتخابات التالية إذا لم يكونوا راضين عنهم...

- **بالمناسبة يا أستاذ، عندما نرفض الإدلاء بأصواتنا، هل نتعرّض لغرامات؟**

- كلا، فالانتخابات في فرنسا ليست إلزامية، كما هو الحال في بلجيكا. أما في فرنسا، فلك حرية الإدلاء بصوتك إذا كنت ترغب بذلك. ولكن من الأفضل الإدلاء بأصواتنا، فمثلاً إذا كنت غير راضٍ عن الاتجاه الإجباري في منطقتك، فسيأتيك الجواب: كان عليك أن تدلي بصوتك... لنعد إلى موضوعنا: كل البلدات لها مجلسها القروي وعمدتها ومساعدوه... كم يبلغ عدد البلدات في فرنسا؟

- **49 بلدة.**

- جوابكم ليس دقيقاً. يوجد 36... بلدة. وفي مقاطعتكم، كم يبلغ عدد القرى؟

- **18 قرية.**

- ها قد استخدمنا تسمية جديدة: المقاطعة. ما هو اسم المقاطعة التي تنضوون تحت لوائها؟

- **الإيسون L'Essonne**

- هل في ذهنكم أسماء مقاطعات أخرى؟

- **بصوت واحد : الإيفلين Les Yvelines، المين واللوار Le Maine-et-Loire، الإيسن L'Aisne، العين L'Ain، اللوت** Le Lot، **الفار Le Var**. . .

- وما هو دور المقاطعة؟

- ؟؟. . .

- إنها إقليم أولاً، ولكن يختلف مستوى قراراته عما سواه فهناك مشاكل لا تخص إلاّ سكان مقاطعة الإيسون L'Essonne، الذين سيعالج هذه المشاكل دون اللجوء إلى ممثلي مقاطعة الإيفلين Les Yvelines أو المين واللوار Maine-et Loire؟ لنذكر على سبيل المثال بعض الأمثلة حول المشاكل التي يمكن أن تصادفنا على مستوى المقاطعة. إنكم ستنهون دراستكم في المدرسة بعد سنوات قليلة. ماذا أنتم فاعلون بعد ذلك؟

- **سنذهب إلى المعاهد.**

- إذاً فالمقاطعة تهتم بالمعاهد، إلى جانب قضايا أخرى، في حين أن مجالس القرية تهتم فقط بالمدارس، لأنه لا جدوى من إنشاء معاهد في القرى الصغيرة. يتحتم هنا إعادة تنظيم الأمور، ويأتي دور المقاطعة في هذه

المرحلة. ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، فمجلس المقاطعة يهتم أيضاً بالطرق.

- . . . **الدولية**.

- كلا.

- **بين المقاطعات**.

- مبدئياً نعم، حيث أن الهدف من شق هذه الطرق هو لخدمة المقاطعة الواحدة، أي لربط الطرق بين قرى هذه المقاطعة، ولا تشكّل محاور الطرقات الأساسية. إلى جانب هذا كله، يهتم مجلس المقاطعة بأمور أخرى.

إذاً على مستوى المقاطعة، هناك انتخابات أيضاً. ولكن من الذي سينتخب؟ ما هو المكافئ للمجلس القروي في المقاطعة؟

- **المجلس العام**.

- نعم. فهكذا نسمي أعضاء الهيئة الاستشارية لكل مقاطعة. ويُسمى التصويت بالانتخابات الإقليمة. حيث أن كل إقليم ـ الذي هو جزء من المقاطعة ـ سيقوم بانتخاب مستشار عام. ومن هو المستشار التنفيذي للمقاطعة؟

ـ إنه حاكم المقاطعة.

ـ كلا. كان ذلك سائداً في السابق. فحاكم المقاطعة يكتفي بتمثيل الدولة داخل المقاطعة. بينما المستشار التنفيذي هو رئيس المجلس العام... هل انتهينا؟

ـ كلا

ـ حسناً. ما زال هناك قرارات من مستويات مختلفة، وما زال هناك ممثلون يجب تعيينهم. أنتم من بلدة برونوي Brunoy التابعة لمقاطعة الإيسون L'Essonne، إلى أين تنتمون؟

ـ إلى فرنسا.

ـ حتماً، ولكن قبل أن يُطلق عليكم اسم سكان فرنسا، أنتم سكان...

ـ ... المنطقة

ـ أية منطقة بالتحديد؟

ـ ليل دو فرانس L'Ile de France.

ـ نعم، هو ذاك. وما الاسم الذي سنطلق على مجلس المنطقة؟

ـ المجلس الإقليمي.

ـ ممتاز. وكيف سنسمي الانتخابات؟

ـ إنه أمر صعب.

ـ ليس إلى هذا الحد. ألم تسمعوا أبداً عن الانتخابات الإقليمية؟

ـ بلى.

ـ أرأيتم؟ ومن الذي سيقود المجلس الإقليمي، ويترأسه، ويكون ممثله التنفيذي؟ إنه...

ـ ... رئيس المجلس الإقليمي.

ـ وما هي مسؤوليات المجلس الإقليمي على سبيل المثال؟ المعاهد، المواصلات وأمور أخرى تهم سكان ليل دو فرانس L'Ile de France لقد ذكرتم لي أيضاً أنكم فرنسيون. على أي مستوى هذه المرة؟

ـ على المستوى الوطني.

ـ المستوى الوطني الذي يعالج أمور تهم الفرنسيين بأكملهم، مهما كانت القرية أو المقاطعة أو المنطقة التي يقطنون فيها... وهنا ستكون الانتخابات...

ـ ... تشريعية.

ـ نعم، ومن الذي سنقوم بانتخابه؟

ـ النواب.

ـ إلى أية هيئة ينتمون؟

ـ إلى المجلس الوطني.

ـ هل هو المجلس الوحيد على المستوى الوطني؟

ـ كلا، هناك أيضاً مجلس الشيوخ.

ـ في الحقيقة هناك هيئتان تعملان جنباً إلى جنب. وعند نشوب اختلاف في وجهات النظر بين المجلس الوطني ومجلس الشيوخ، فالكلمة الأخيرة هي للمجلس الوطني... انظروا إلى الأمر، كم هو منظّم بشكل جيد: المجلس القروي، المجلس العام، المجلس الإقليمي، المجلس الوطني ومجلس الشيوخ. أربعة مستويات من القرارات. أربعة أصناف من الممثلين. أربع هيئات تنفيذية. بالمناسبة، من هي الجهة التنفيذية على المستوى الوطني؟

ـ إنه رئيس الهيئة الوطنية.

ـ كلا تنقسم السلطة التنفيذية على المستوى الوطني بين رئيس الدولة والحكومة، التي يرأسها رئيس الوزراء. عندما يتفق الفرقاء، تسير الأمور على ما يرام، وتتعقد

عندما يختلفون. وكيف نسمي هذا الوضع؟

ـ إنه التعايش.

ـ نعم، إذا تجرأنا على قول ذلك. انتهينا من موضوع الممثلين. ألا يوجد هناك مستوى يمكن إضافته؟ ما هي الانتخابات الأخيرة التي شهدناها؟

ـ إنها الانتخابات الأوروبية.

ـ ومن الذي تمّ انتخابه؟

ـ إنه مجلس الشعب الأوروبي.

ـ هذا ما قد يشكل درجة خامسة. ولكن كل ذلك ما زال في طور التشكيل... ربما سنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

ـ يا أستاذ! يا أستاذ! لقد كنت ممثلاً عن المجلس الوطني. لماذا لم تتّبعوا منهج تقييم سلوك النواب؟ لأنهم غالباً ما يتصرفون بشكل سيئ. هناك من يعلكون اللبان، وآخرون تراهم في سهوة، وفئة ثالثة تُدخِل إصبعها في أنفها.

ـ أريدك أن تعرف أني عملت ما بوسعي. ولكن لم يدرك النواب أنهم مراقبون على شاشات التلفاز باستمرار. علماً

أن هذا الوضع أصبح منتشراً في أيامنا. كنت أضطر أحياناً، لإرسال المستخدم من فوق منبري لينبه أحدهم بلباقة قائلاً له: «ألا تستطيع التوقف عن قراءة الصحيفة أو أن تعدل جلستك؟» ولكن هل يمكنكم تخيّل ما الذي كان سيحصل لو أني قمت بتقريعه علناً بشكل حي أمام شاشة التلفاز؟ حتماً لكان الأمر مجدياً أكثر. ولكن ستلطخ سمعة النائب في هذه الحال، وسيكون العقاب غير مناسب لهذه الهفوة.

ـ سؤال آخر يا أستاذ، لقد حدثتنا عن الديمقراطية، ولكن ماذا عن الجمهورية؟

ـ الأمر هنا أكثر تعقيداً، سأحاول مع ذلك الرد على هذا السؤال. التعريف البديهي للجمهورية: هو النظام الذي يتعارض مع الحكم الملكي. ففي فرنسا، تمّ القضاء على الملكية لتوطيد أركان الجمهورية. وهنا يبدو الأمر واضح وبسيط. ولكن التعقيد يظهر عندما نمارس الديمقراطية دون المرور بالنظام الجمهوري. تخيلوا أن هناك سبعة بلاد من أصل خمسة عشر من الاتحاد الأوروبي يسودها النظام الملكي (هناك ملك في بريطانيا، وملك في اسبانيا، وآخر في بلجيكا... الخ). ولكن مفهوم الجمهورية في فرنسا اتخذ منحى آخر. إنه

مجموعة قيم: العلمنة، مكافأة المهارة، والفضيلة، وخاصة المساواة. إنها ليست المساواة المطلقة: إنها تكافؤ الفرص. نعم هو ذاك، فلكل واحد فرصته. وإذا لم ينتهزها توجد وسائل تمكنه من عدم التخلي عنها. حتى لا يفقد فرصته. تلك هي الجمهورية. شيء آخر أبعد من الديمقراطية، وهي ليست سوى طريقة لاتخاذ القرار. فمعنى الجمهورية في أيامنا المعاصرة هو الديمقراطية، مع الأخذ بعين الاعتبار عدد كبير من القيم والمبادئ...

لن تكونوا مخطئين إذا لم تفهموا معناها تماماً. فهناك أناس مهمّون لديهم خبرة كبيرة في الحياة، لم يتمثلوا معناها تماماً.